السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى في آيات الجهاد و العقيدة في الكشاف للزمخشري

الباحث محسن مظلوم عاصي الدكتور محمد علي تجري أ.م.د. مولای نیا

جامعة قم/ كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية قسم علوم القرأن والحديث

ma.tajari@yahoo.com

الملخص

دلالات السياق مهمة في فهم نصوص الجهاد أو العقيدة داخل آيات القرآن الكريم، باعتبارها من أهم الدلالات في تفسير القرآن بالقرآن، وعلى هذا الاساس نلحظ أَنَّ الزمخشري قد اغنى على وفق ذلك في كتابة الكشاف عناية بألفة، حيث كان ذلك سببا في تقدير محذوف، أو تأييد قول أو دحضه، نحن خلال ذلك قد اثبت الكثير من الأحكام، دونما الخروج عما يؤيد القول أو الحكم في الوصول إلى النتائج بحكم سياق الآيات الخاصة بدراسة الجهاد أو العقيدة ووفقاً لمنهجية خاصة مشبعة توضح أهمية السياق في تأويل النص وإظهار حقيقته بما يتفق أو ينسجم من ظاهرة التفسير القرآني للنصوص.

Abstract

Contextual connotations are important in understanding the texts of jihad or belief within the verses of the Holy Qur'an, as they are among the most important connotations in interpreting the Qur'an by the Qur'an. On this basis, we note that Al-Zamakhshari has accordingly enriched his attention to familiarity in writing Al-Kashshaf, as this was a reason for an omitted assessment, or support. Saying or refuting it, we have through it proven many rulings, Without deviating from what supports the statement or ruling in arriving at the results by virtue of the context of the verses related to the study of jihad or belief, and according to a special and comprehensive methodology that clarifies the importance of the context in interpreting the text and revealing its truth in a way that is consistent with the phenomenon of the Qur'anic interpretation of the texts.

أثر السياق في تحديد المعنى في الجانب اللغوي:

١- السياق الصوتي:-

تكمن أهمية السياق الصوتي بالنسبة للتأويل القرآني، في ما اتخذه الزمخشري في بيان أهمية الأحداث في النفوس، حيث أَنَّه في كشافه استغل هذه الغاية في تبيان نظم القرآن واعجازه في وضع محددات لا يمكن لأيّ ما مجارات قوله سبحانه وتعالى، فالسياق الصوتي المشتمل بالمراحل الثلاث :

الحرف، والكلمة، والجملة، موسيقية ذلك، تبين اعجازية النظم القرآن الصوتي داخل النسق، فاتخذوهم ضمن بنية نصية قاصدة مجارات الأهداف المرجوة من وراء ذلك، على اعتبار أَنَّ مهمة الصوت، غايتها الحرف والحركات والمقاطع، علاوة على الايقاع، فكل ذلك سرٌ له دلائله داخل الآيات العظيمة صوتياً:

سنتناول السياق الصوتي من خلال أدواته داخل السياق بشكل تراتبي، منها : الحروف، كي في قوله تعالى: (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ، وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[١]، فمن خلال هذه الآية الخاصة بالجهاد أو العقيدة، يتبين لنا من سياقها الصوتي أهمية حرف اللام الواقع في جواب القسم الذي سدَّ جواب الشرط في بيان أهمية القتال، وما ينتجه من مخلفات تؤدي إلى نزول الحق، كونه به تتحقق العدالة لإلهية، كما ليس فيه تعتبر للذات، بل نزول المغفرة بالدلالة التأكيدية لحرف اللام في لقطة (مغفرة)، والتي هي جواب لفعل الشرط (قتل) الواقعة بعد أداة الشرط (إن) والمتصلة بالأم الموطئة للقسم، وهو تأكيد الحكم إلهي بما وعد به عباده المخلصين، والذي اشترى الله انفسهم في احقاق الحق، وبذلك فقد كذب الله "الكافرين أوّلاً في زعمهم أنَّ من سافر من إخوانهم أو غزى لو كان بالمدينة لما مات، ونهى المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد : ثم قال لهم : ولَئن ثُمَّ عليكم ما تخفونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فإنَّ ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدينا ومنافعها لو لم تموتوا"[٢]، فاللام الموطئة للقسم المدغمة في حرف الشرط (إن) كانا تأكيداً لذلك، فالزمخشري يتحس الحروف، لمالهما دور كبير في المراد من قوله سبحانه.

فالدلالة الصوتية نغمية تؤكد الترابط والتناسق الجملي داخل النص، فهي لا تنفك عن تمثلاتها داخل النسق، كونها تمتلك ابعاد داخل الانساق، لتجعل منها مشتقة بشكل تراتبي، في محاولة للإفصاح عما يريده سبحانه، عما (لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ)[٣]، نلاحظ أنّ (اللام) في حرف الجر (إلى) الواقع جواباً للشرط مع اسمها، للتأكيد أنَّ الأحكام لا تكون به، ولا تناط إلا "لإلى الرحيم الواسع، المثيب العظيم الثواب تحشرون، ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأنّ ليس بالخفي، وقرئ : مُتُّم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات ويمات. ما مزيدة للتوكيد، والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله". [٤]

أما من حيث الحركات، فهو لا يقتصر أهمية بالنسبة إلى ما تقدمنا به، حيث بين الزمخشري أهمية ذلك من خلال أدواته التأويلية للنصوص القرآنية الكريمة، كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا، وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ، فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا، وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا"[٥]، فالمعنى أَنَّ الله سبحانه وتعالى يحذر المؤمنين، مع تبيان الحالة المتأخذة في الحذر من اعدائهم، لذا فإنَّ الله قريب من المؤمنين، فإما أن ينفروا ثبات أو جميعاً، حيث أَنَّ حركتين (ثبات، وجميعاً) الفتحة والكسرة، وموقعها حالاً، تبياناً للحال الذي نفروا عليه المؤمنين، فهو أَمَّا جماعات متفرقة أو مجتمعون في كوكبة واحدة، فإن أصابتهم مصيبة من قتل أو هزيمة فضل من الله من فتح أو غنيمة، ولهذا اعطى والكثير من المنسرين أهمية كبير للحركات داخل سياق النص، حتى أنهم ادخلوا القراءات في تفسيرهم للنصوص، وهذا ما نجده عند الزمخشري في تأويله لسياق الآية، حيث ذكر قراءة الحسن للفظة (ليقولَنَّ) بضم اللام (ليقولُنَّ)، "إعادةً للضمير إلى معنى مَنْ ؛ لأنَّ قوله : (لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) في معنى الجماعة، وقوله : (كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) اعتراضُ بين الفعل الذي هو (ليقولَنَّ) وبين معقوله، وهو (يا

لَيْتَنِي) والمعنى : كأنَّ لم نتقدم له معكم مواده ؛ لأنَّ المنافقين كانوا يوادُّون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر، وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن، والظاهر أنّه تهكم ؛ ولأنهم كانوا أعدى عدوَّ للمؤمنين واشدهم حسداً لهم، فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكماً بحالهم"[٦] ، كما قرئ – الحسن – (فأفوزَ) بالضم عطفاً على كنت معهم ؛ "لينتظم الكون معهم والفوز معنى اتمني، فيكونا متَّمنَيْنِ جميعاً"[٧]، فالزمخشري عندما يحاول ذكر قراءة من القراءات يضع لها بالمقابل التحليل اللغوي فيما ذهب إليه، فوجدناه خير مفسر بما يمتلكه من ركام ثقافي يحيطنا به. من خلال قراءاته الدقيقة للسياقات القرآنية.

قالوا مع أنَّ السياق الصوتي له أثره البالغ على الثقافة الزمخشرية في الإحاطة الفاظ على مراحلها ابتداءً بالحروف وصولاً إلى الحركات، كما لا يقتصر الأمر في ذلك وعلى ذلك يجمعها المقطع وأهميته داخل النص بتراتبية لا تقتضي الانقطاع، بل الاستمرار وصولاً إلى النص كاملاً ؛ للإحاطة بتفسيره تفسيراً يتفق أو يتناسب مع ما أراده سبحانه، ولكي يتم السياق الصوتي على أتم حالة يجب دراسة المقاطع الصوتية لآيات الجهاد أو العقيدة؛ لبيان أهميتها في اكمال المراحل الصوتية في خروج النص مناسباً كون أنَّ المقاطع مجموعات، بشكل كل مقطع من هذا المقاطع وحدة لها طابعها الخاص، كما يرتبط كل منها بالمقاطع الأخرى ارتباطاً غائياً ؛ ليشكلوا بذلك الصورة الكلية للنص.

ووفقاً لما تقدمنا به سندرس السياق الصوتي في آيات العقيدة أو الجهاد، وما ذهب إليه الزمخشري في كتابة (الكشاف)، كما في قولة سبحانه : "لْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا، وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا"[٨]، وقبل الشروع بالتفسير السياقي من حيث المقاطع الصوتية، فلا بدَّ من معرفة تفسير الآية الكريمة، والذي خص فيها "الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون، وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق، ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد، والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون العاجلة ويستبدلونها بها،...، وخلاص المستضعفين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصَّه، والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة، وكانوا يدعون الله بالخلاص".[٩]

فالآيتان الكريمتان تحمل في طياتها أسراراً خاصة بَمنْ يفدي الله سبحانه بنفسه، وتعظيم تلك المنزلة عنده سبحانه، كما أنَّ الآتيين حملت مقاطع صوتية مختلفة، لذا سنتناولها بالتحليل الصوتي للمقاطع من خلال تقطيعهما صوتياً، وعلى النحو الآتي:

فَلْ / لُ / قَلْ / تِلْ/ فِيْ / سَ / بِيْ

ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح /

ل / أَلْ / ل / ل هُـ / الـ / لّ / ذَيْ

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح / ص ح ح /

نَ / يشـ / رُوْ / نَ / الـ / ح / يا/

ص ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح

ة / بَا / و / بل / أا / خ / ر / ة /

ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح

و / مَنْ / ي / قا / يَلْ / في / سَ / بي/

ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح ص / ص ح / ص ح/ ص ح ح

الـ / لَّ / هـ / ف / يُقْ / تل / أوْ /

ص ح ص / ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ح /

يَفْ/ لبْ / ف / سوْ / ف / نؤ / تي /

ص ح ص/ ص ح ص / ص ح / ص ح ص / ص ح / ص ح ح /ص ح ح /

هـ / أ جـ / رَا / عَ / ظيـ / و/

ص ح / ص ح ص/ ص ح ص / ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ص /

مَأْ / لَ / كمْ / لاَ / ثُ / فَأْ / ت / لُوْ

ص ح ص / ص ح / ص ح ح /ص ح ح / ص ح/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح ص

نَ / في / سَ / بي / ل / ال / لَ / ل هـ

ص ح / ص ح ح / ص ح / ص ح ح / ص ح /ص ح ص /ص ح / ص ح ص

وَ / الـ / مُسْـ / تَضـ / عَ / في / ن /

ص ح / ص ح ص / ص ح ص / ص ح ص / ص ح /ص ح ح / ص ج /

مِنْ / الـ / رِر / جا / ل / وَ / الـ / نتـ

ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ح /ص ح / ص ح /ص ح ص / ص ح ص

سَا / ء / وَ / الـ / ول / دا / ن / الـ

ص ح ص/ص ح/ ص ح/ ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح /ص ح / ص ح ص

لـ ذ / ي / ن / ي/ قو / لو / نَ / رَ

ص ح ص /ص ح / ص ح / ص ح / ص ح ح/ ص ح ح / ص ح/ ص ح

ب ب / نا / أخ / رج / نا / مِنْ/ هَـ

ص ح ص / ص ح ح /ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ح/ص ح ص/ص ح

ذَ / ه / الـ / قر / ى / ة / الـ / ظ /

ص ح/ ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ص ح ص/ ص ح/

ظا / ل / م / أهـ / ل / ها / وَ / اج/

ص ح ح/ ص ح/ ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص

عل / لـا / تا / من / لـ / دن / ك / وَ

ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ص ح/ ص ح

لي/ ياً / وَ / اجـ / عل / ل ل / نا /

ص ح ح/ ص ح ص/ص ح/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح/

من / ال / دن / ك / ذ / صي / را /

ص ح ص/ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص

المقطع القصير = ص ح ثماني وخمسون مرة المقطع / المتوسط المفتوح= ص ح ح احدى وثلاثون مرة المقطع الطويل المفرد الإعلاق = ص ح ح ص غير موجود المقطع المديد = ص ح ص ص غير موجود كذلك.

فالملاحظ أنَّ المقاطع القصيرة قد حظيت داخل الآيتين الكريمتين على النسبة الأكبر عن غيرها من المقاطع والأنواع الأخرى، ما يعني أنَّ الخفة والرشاقة التي تتمتع بها هذه المقاطع، في إدراك المعاني المقصودة الآيات بسهولة وراحة، كون أنَّ الأحكام القرآنية الخاصة، بآيات الجهاد أو العقيدة الفرصة في إدراك ما يريده سبحانه وتعالى، فالمقاطع الصوتية الثلاثة الأولى بحسب الإحصائية أعلاه، تمثل اللغة العربية في الغالب فنراها متكونه من النسيج الثلاثي لهذه المقاطع، سواء أكانت متصلة أو متفرقة في سياق الآيات، وهذا المقاطع مناسبة مع أحكام الخاصة في لجهاد وخصوصا المؤمنون الذين يحسون العاجلة، فهم يشترون بأنفسهم رضى الله سبحانه مع إخلاصهم لما يدعوهم إليه، فسهولة هذه المقاطعة، تبين ليونة قلوبهم بالإيمان وسهولتها دونما عناء.

٢- السياق الصرفي:

سبق وأنْ تطرقنا إلى هذا النوع في دراسة السياق، فهذا النوع يتعدد داخل السياق، والاسباب يدل عليها هذا التنوع للتعبير عما هو مقصود داخل سياق الآيات القرآنية ؛ لفهم العبارات والجمل مما يسهل علينا فك ثغرات النص وتأويلة.

علما أنَّ الصيغ الصرفية بمجملها في سياق النص ترد على اثنى عشرة صيغة، منها الثلاثي : فهو على نوعين، الأول مجرد، والثاني مزيد، وقد ستوفينا هذين المفهومين في آيات الخلق أو التكوين، ومن لهما من تأثير داخل السياق ، لذا سنتجاوزها إلى دراسة الدلالة السياقية للمشتقات في آيات الجهاد أو العقيدة، وعلى النحو الآتي:

١- اسم الفاعل :

اسم الفاعل هو "صيغة مشتقة من الفعل تدل بهيئتها على من وقع عليه الفعل"[١٠]، بين أنَّ هذا المشتق - اسم الفاعل - مختلف عن بقية المشتقات لما له دلالة فر الحدوث والتجدد، كما لا بدل على الثبوت، فالكلمة فيه "مشتقة للدلالة على من، وقع منه الفعل أو من قام به، على سبيل التجدد والحدوث"[١١]، كما له صيغتان قياسيتان، الأولى : اسم فاعل ؛ إذا كان الفعل ثلاثي، والثانية من الفعل غير الثلاثي، بإبدال حرف المصارعة ميماً مضمومة، وكسر ما قبل الآخر.

حيث أنَّ هذه الصيغتين قد وردتا في آيات الجهاد أو العقيدة، كما تطرق إليها الزمخشري في كتابة الكشاف، لما دلت لليه من معانٍ لها، طابع خاص داخل السياق، كما في قوله سبحانه : "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا"[١٢] ، فالآية تبين قوة الله في نصره للضعيف من القول، حتى اعزهم ممن ظلمهم، ثم يبين سبحانه الحث على الجهاد، بسبب افراط في الظلم الواقع على المستضعفين، وما يفسر ذلك هو ذكره سبحانه وتعالى للوالدين داخل سياق الآية العظيمة – في الجهاد- حيث بلغ ظلم المشركين الولدان غير المكلفين، ما جعل المستضعفين يشركون ابناءهم بالدعاء، كونهم صغاراً ولم يذنبوا، فالله يستجيب دعواهم. ويخلصهم من (القرية الظالم أهلها)، ربما سائل يسأل، لماذا سبحانه وتعالى ذكر الظالم ؟ مع العلم أنَّ الموصوفة مؤنث، فقد اجاب الزمخشري في الكشاف على هذا السياق الوارد في السياق القرآني، بقوله : "هو وصف للقرية إلا أنه سندُ إلى اهلها فأعطى إعراب القرية، لأنه صفتها وذكر، لإسناده إلى الأهل، كما يقول من هذه القرية، التي ظلم أهلها،...، رغب الله المؤمنين ترغيباً، وشجعهم تشجيعاً، بإخبارهم أنهم يقاتلون في سبيل الله، فهو وليهم وناصرهم، وأعداؤهم تقاتلون في سبيل الشيطان"[١٣]، فاسم الفاعل داخل السياق يبين من خلال المنسق أنَّ الظلم الذي حلَّ بالمستضعفين، ومن معهم، من خلال القائمين على هذه القرية، وكل من ساندهم، فالمشتق ومعموله داخل السياق وضح أنَّ أهل القرية ظالمون بالمطلق ؛ ولا يمكن مجازاتهم إلا بالجهاد؛ للخلاص منهم.

٢- اسم المفعول:

إنَّ اسم المفعول "صيغة مشتقة من الفعل المبني للمجهول تدل بهيئتها على من وقع عليه الفعل"[١٤]، غير أنّه كاسم الفاعل يدل على الحدث والحدوث، ولا يختلفان "في الدلالة على الموصوف، فإنه في اسم الفاعل يدل على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول منصور"[١٥]، ويصاغ من الفعل المبني للمجهول، اوله صيغتان قياسيتان، يتم القياس فيها من حيث عدد الحروف، فالأولى مفعول، وهذا مع الأفعال الماضية الثلاثية المبنية للمجهول، والثانية مع الأفعال الغير ثلاثية، بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل اخر.[١٦]

وقد وردت هذه الصيغتان في آيات الجهاد أو العقيدة بكثرة، دلالة على ما وقع عليه الفعل، علاوة على دلالات كثيرة نوردها من السياق الذي وردت فيه، كما في قوله تعالى: "وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ"[١٧]، حيث ورد في سياق الآية الكريمة اعلاه مشتق، وهو اسم مفعول من الفعل غير الثلاثي، وإلا وهو (مستضعفين)، من الفعل السداسي (استضعف)، وله دلالة مهمة في سياق بعده الآية، فهو لم يرد هذا المشتق على سبيل التقدير، بل لبيان حال هؤلاء من الذين ليسوا بحال ولا قوة، فسبحانه يبين شدة اضطهاد هؤلاء، فلم يكتف بذكر الفعل الثلاثي (ضعف)، بل زاد عليها ثلاث حروف أخر لبيان شدة الوقعة في استضعافهم واذلالهم، واسم المفعول في سياق الآية له وجهان "أنْ يكون مجروراً غطفاً على سبيل الله أي : في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين، ومنصوباً علي الاختصاص يعني اختص من سبيل الله خلاص المستضعفين ؛ لأنَّ سبيل الله عام في كل خير، وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه"[١٨]، فالمشتق في سياق الآية لم يرد اعتباطاً على الدلالة خاصة، خص بها سبحانه من عباده المستضعفين، كما وعد المقاتلين اجراً عظيماً / سواء اكانوا ظافرين أم مظفرين، إعزازاً لدين الله القيم، وحكمةُ الهام في حفظ العقيدة والجهاد في سبيله.

٣- السياق التركيبي:

سبق إنْ تحدثنا عن هذا النوع داخل تسفية الخطاب وامها منه في تحديد أهمية غير مدركة على سبيل القراءة العابرة أو التأمل، ولكن بفضل هذا السياق أدركنا أهمية في تحديد المعنى المراد وما يعنيه التركيب الآيات الجهاد أو العقيدة، كما تحدث عنه الكثير عنه الكثير من النحويين والبلاغيين في بيان أهمية، وما تؤديه التراكيب السياقية في توخيها لمعاني النحو في طريقة تراتبية منهجية خصها سبحانه في جميع، ليس فقط على آيات الجهاد أو العقيدة، ولكن كون أننا ملزمون في دراسة هذه الآيات ستقتصر دراستنا في السياق التركيبي على هذه الآيات بالشرح والتحليل لدلالاتها، وفقاً لما يقتضيه السياق التركيبي في دراستنا، وسنتناول أدواته، على النحو الآتي :

١- الزيادة : نتحدث في الفصل الثاني مباشرة عن أحد أدوات السياق التركيبي، كون أنّنا قد نتناول الأدوات الأخرى في الفصل الأول، وهي : (التقديم والتأخير، والحذف) وقد استوفينهما بالأدلة والشواهد القرآنية التي تخصهما، لذا سنتناول الزيادة في هذا الفصل مع السياق التركيبي، فالحذف "أنْ يزاد حرف في الكلام لضرب من التأكيد يكون فيه دخوله أو خروجه، من غير تغيير في اصل المعنى، فلا يتهور

زيادة لغير معنى، فيكون وجودة في الكلام عبثاً، إذا لا يتجاوز ذلك، وقد جاء منه في القرآن الكريم وهو منزه عن مثل ذلك كما كثر مجيئه في كلام الفصحاء والشعراء العرب" .[١٩]

وقد أختلف الكثير من النحويين في قضية الزيادة داخل النص القرآني، حيث اعتقد اكثرهم وقوعه لفظاً، كون أنَّ الأصل في المعنى حاصل دونه، وبه تحققت فائدة التوكيد، وبهذا الخصوص ذكر ابن السراج "أعلم أنَّ الإلغاء إنما هو أن تأتي الكلمة لا موضع لها من الإعراب إن كانت مما تعرب وأنَّها متى أسقطت من الكلام لم يختل الكلام، وإنما يأتي ما يلغي من الكلام تأكيداً أو تبييناً"[٢٠]، وبهذا القول تيبين انا أنَّ الزيادة في آيات القرآن لا تكون إلا مراعاة لقضية الإعراب يحسب أكثر النحويين والمفسرين، غير أن الزمخشري لا يذهب هذا المذهب، بل ينظر إلى جميع حروف القرآن غاية قد ادركها من خلال تفسيره للنصوص، كما أنَّه يرى تأثيرها على النص من حيث التفسير لا يقتصر على ما بعدها، بل يهتم بالوحدة لتفسير النص القرآني، علم يتبع الطرف التراتبية في تناوله للنص، عما أنَّه يلجأ بربط هذه الزيارة ما قبل وبعد الفواصل القرآنية، ومثال ذلك في قوله سبحانه : "ومنهم من يقول ائذن لي ولا تغتني إلا في الفتنة سقطوا وإنَّ جهنم لمحيطةُ بالكافرين"[٢١]، فاللام في (لمحيطة) في الآية الكريمة، لم تكن في فهم الزمخشري وتأويلة للنص على سبيل التأكيد، بل كانت ترجمة للنص فأكمله، لذا نراه يربط في كشافه بداية الآية ونهايتها لهذه اللام، إذ يقول : (ائْذَنْ لِي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة، وهي الإثم بألا تأذن لي، فإني فإذا خرجت معك هلك مالي وعيالي،...، وقرئ : ولا تفتني من افتن (الا في الفتنه سقطوا) أي : إنّ الفتنه هي التي سقطوا فيها، وهي فتنه التخلف ؛ لأن (من) موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة، أو هي محيطة بهم الأن ؛ لأن اسباب الإحاطة معهم، فكأنهم في وسطها"[٢٢]، بالزيارة فسر الزمخشري المحذوف، وبهذا فإنَّه لم يتوقف عند حدود النحويين من الذين ذهبوا إل التأكيد وحرص الزيادة في ذلك، ونحن بدورنا لا تنفي هذا، ولكننا نجد أنَّ الزمخشري بحث في تلك الزيادة عما تقدم به القدامى من المفسرين والنحويين فهو يرى في كل زيادة شأناً ليس بالخفي عما تفقه ودرس كل العلوم التي تخص جانب التفسير، كما في قوله تعالى: "ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون"[٢٣]، فوقوع اسم الله تعالى في هذا الموقع، وإدخال لا التوكيد على حرف الجر (إلى) لم يكن اعتباطاً، بل تقديراً من عزيز عليهم، فيذهب أنّ هذه اللام الزائدة تختزل كلاماً عظيماً يقدره بقوله: "لإلي الرحيم الواسع، المثيب العظيم الثواب تحشرون".[٢٤]

فالسياق التي هي مخص دراستنا، وعنوان اطروحتنا، كانت مجالاً لأدراك ما أراده الزمخشري من تفسير انه وتأويلاته للنصوص القرآنية ونحن لا نزعم أنَّ هذه السياقات كانت موجودة في فقه (فيرت)، بل تراه نظر لهذه القواعد وفقاً لدراسات قد اطلع عليها، ولا نستبعد من ذلك، أنه قد اطلع على التراث العربي كون أنه كان مدعاة للسرقة، من قبل المنسقين والباحثين عن المخطوطات، فالقدامى واخص بذلك – الزمخشري- في منهجه نراه قد استوفى كل ذلك في كشافه، ليعلمنا أنه صاحب هذه التنظيرات من خلال تأسيسه المنهج قادر أن يكون بحاله مدرسة أو مدنية للعلم على حد سواء.

الخاتمة

بعد أن منّ الله عليّ بإتمام هذا البحث توصّلت إلى مجموعة من النتائج أذكر منها الآتي :

١- أكد البحث على أثر السياق في دراسة في تفسير النص القرآني وتوجيه المعاني لتكون أكثر وضوحًا ودقةً .
٢- ظهرت أهمية فهم المعنى عن طريق السياق الاجتماعي والتاريخي وكذا السياق اللغوي في فهم مدلولات آيات الأحكام وسواها من الآيات في تفسير الكشاف.
٣- بيّن البحث إسهام الزمخشريّ في تفسيره الكشاف للقرآن الكريم من حيث كشفه عن السياق واعتماده على متعلقاته وأثر ذلك في الكشف عن دلالة الألفاظ القرآنية .

هوامش البحث

[١] سورة ال عمران، الآية رقم : ١٥٧، ١٥٨

[٢] الكشاف :٣٧١/١

[٣] سورة آل عمران : الآية رقم :١٥٨

[٤] الكشاف: ٣٧٩/٢

[٥] سورة النساء، الآية :٧١، ٧٢، ٧٣

[٦] الكشاف: ١/ ٤٦٣

[٧] نفسه : والصفحة نفسها

[٨] سورة النساء، الآية رقم : ٧٤، ٧٥

[٩] الكشاف: ٤٦٤/١

[١٠] محاضرات في علم الصرف، محمد ربيع الغامدي، حوارزم العلمية، جدة، ط٢، ٢٠٠٩م: ٧١

[١١] الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠١٠م: ١١١

[١٢] سورة النساء الآية رقم :٧٥

[١٣] الكشاف : ج١/ ٤٦٤، ٤٦٥

[١٤] محاضرات في علم الصرف : ٧٤

[١٥] معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٧م: ٥٢

[١٦] ينظر: الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان ط١، ٢٠١٠م: ١٣٠ / لغة القران الكريم، بلقاسم بلصرح دراسة لسانية للمشتقات في الرابع الأول، دار العلوم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٥م: ١١٥

[١٧] سورة البقرة، ٧٥

[١٨] الكشاف :ج١/ ٤٦٤

[١٩] ينظر: الخصائص، لأبن جني، تح: محمد علي النجار أ دار الكتاب العربي، د. ت، ج٢: ٢٥٨ / شرح المفصل، لأبن يعيش، عالم الكتب، بيروت، (د، ت) ج٨ : ١٢٨.

[٢٠] الاصول في النحو، لأبن السراج، تح : د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م: ج٢/٢٦٧

[٢١] سورة التوبة الآية رقم: ٤٩

[٢٢] الكشاف : ج٢/٣٠٥

[٢٣] سورة آل عمران :١٥٨

[٢٤] الكشاف: ج١/٣٧٩.

قائمة المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢. محاضرات في علم الصرف، محمد ربيع الغامدي، حوارزم العلمية، جدة، ط٢، ٢٠٠٩م.

٣. الصرف الوافي، هادي نهر، عالم الكتب الحديث، عمان، ط١، ٢٠١٠م.

٤. معاني الأبنية في العربية، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٥. لغة القران الكريم، بلقاسم بلصرح دراسة لسانية للمشتقات في الرابع الأول، دار العلوم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٥م.

٦. الخصائص، لأبن جني، تح: محمد علي النجار أ دار الكتاب العربي، دـ ت، ج٢: ٢٥٨ / شرح المفصل، لأبن يعيش، عالم الكتب، بيروت، (د، ت).

٧. الاصول في النحو، لأبن السراج، تح : د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.